# مديح الحكمة
# مديح الكتاب... مديح الكلمة

**الأخت باسمة الخوري**
**أستاذة مادّة الكتاب المقدّس**

**١ – الحكمة حذاقة بشريّة أم شريكة الله في الخلق؟**

غالبًا ما تظهر الحكمة في الكتاب المقدّس كخلاصة تعبّر عن حِكَم الشعوب المعاصرة. بينها وبين هذه الحِكَم الكثير من الشبه، ولكن الكثير من الفروقات الكبيرة أيضًا؛ فالحكمة تندرج في إطار تاريخ شعب الله المقدّس. هي حكمة من الله، تأخذ بعين الاعتبار خبرة شعب الله الدينيّة.

برزت صورة سليمان، الملك الحكيم، كأعظم صورة للشخص الحكيم. حفظ له الكتاب المقدّس، أنّه لم يطلب من الله الثروات ولا الانتصارات، بل قلبًا حكيمًا، قلبًا يسمع ويفهم ويستوعب الحقيقة، فيميّز بين ما هو خير وما هو شرّ. لذلك استحقّ أن يضع الكتّاب الملهمون العديد من كتب الحكمة باسمه.

في الكتاب المقدّس أكثر من نصّ مخصَّص لمديح الحكمة: في سي ٢٤: ٣–١٤ تمدح الحكمة ذاتها؛ وفي أم ٨: ٢٢–٣١ تؤكّد وجودها قبل الخلق؛ وفي حك ٩: ١–١٧ يطلب الملك سليمان الحكمة قبل كلّ شيء؛ ويمدحها الحكماء في أي ٢٨ وبا ٩: ٣–١: ٤، وفي كلّ هذه النصوص، تبدو الحكمة كشخص؛ فهي امرأة تقدّم الضيافة؛ وتستقبل في منزلها مَن يبحث عنها في حياته؛ وهي رفيقة تشارك مَن يحاورها كلّ أسرار الخير؛ وهي عاملة دائمة تدعم كلّ عامل، وتنير الحياة لأنّها انعكاس نور الله الأبديّ؛ وهي الموجودة قبل كلّ شيء، وقد شاركت في ترتيب الخلق. يعرفها الله، ويهبها لكلّ مَن يبحث عنها؛ ومَن يجدها يجد طريق الربّ. إنّها الوسيط بين الله وبين البشر...

طيلة فترة الحقبة الملكيّة، كان الحكماء، بنوع خاصّ، الكتبة الذين يعملون في بلاط الملك. بعد العودة من المنفى، لم يعودوا من الطبقة الحاكمة، بل من الكتبة الذين يدرسون الشريعة ويعلّمونها في المدارس، فصارت الحكمة فنّ حياة مبنيّ على الفطنة والخبرة لتأمين السعادة. هذا ما ولّد أدبًا جديدًا تمثّل بالكتب الحكميّة (طوبيّا، وأمثال، وأيّوب، وابن سيراخ، والجامعة، والحكمة).

فما هي هذه الحكمة؟ أو بالأحرى مَن هي؟

## ٢ – حكمة بشريّة أم إلهيّة؟

الحكمة في المفهوم البشريّ، هي النضوج والوعي والتمييز والحذر والاتزان المتأتّي من خبرة طويلة سمحت للحكيم بالحصول على مقدرة الحكم الصائب على أمور الحياة. أمّا في الكتاب المقدّس فالحكمة هي معرفة الأمور الإلهيّة والبشريّة، يمنحها الله للبعض، وهي إحدى عطايا الروح القدس السبعة. هي أوّلاً حكمة بشريّة، صفة عمليّة نادرًا ما تحمل محتوى أخلاقيًّا. إنّها معرفة وحذاقة مهنيّة في فنّ أو مهنة معيّنة[١]. وهي، على الصعيد الفرديّ، مطلوبة للمَلِك ولمستشاريه لممارسة السلطة[٢]. لكنّها أيضًا صفة إلهيّة. هي مِلْكٌ لله السرّيّ. بها خلق الكون، وبها يديره (أم ٨: ٢٧).

عرف موضوع الحكمة تطوّرًا مهمًّا. جسّدها الأدب تحت شكل سيّدة بَنَتْ بيتها وطافت تدعو الناس لمشاركتها المائدة والغذاء من المعرفة التي تقدّمها (أم ٩: ١–٥). وخطى هذا التطوّر خطوة جديدة، فاعتبرها أولى خلائق الله، تشاركه

(١) لكي يصنع الأدوات الطقسيّة، أرسل سليمان يطلب أحيرام «مُمْتَلِئًا حِكْمَةً وَفَهْمًا وَمَعْرِفَةً لِعَمَلِ كُلِّ عَمَلٍ فِي النُّحَاسِ» (١ مل ٧: ١٤).

(٢) هذا ما جعل سليمان يطلب من الله عند اعتلائه العرش: «قَلْبًا فَهِيمًا لأَحْكُمَ عَلَى شَعْبِكَ وَأُمَيِّزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ...». وكان جواب الله له: «هُوَذَا أَعْطَيْتُكَ قَلْبًا حَكِيمًا وَمُمَيِّزًا حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُكَ قَبْلَكَ وَلاَ يَقُومُ بَعْدَكَ نَظِيرُكَ» (١ مل ٣: ٩، ١٢).

مشاريعه أثناء الخلق، قبل مجيئها بين البشر: «مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ مُنْذُ الْبَدْءِ مُنْذُ أَوَائِلِ الأَرْضِ... إِذْ لَمْ يَكُنْ قَدْ صَنَعَ الأَرْض... لَمَّا ثَبَّتَ السَّمَاوَاتِ كُنْتُ هُنَاكَ أَنَا... فَرِحَةً فِي مَسْكُونَةِ أَرْضِهِ، وَلَذَّاتِي مَعَ بَنِي آدَم» (أم ٨: ٢٢–٣١). فكرة أوحت للإنجيليّ الرابع تقديم يسوع ككلمة الله.

أظهر علماء البلاغة اليونانيّة اللاتينيّة أنّ مديح صفة ما، يجب أن يحدّد طبيعة هذه الصفة، وأصلها، ومنافعها[٣]. وقد برزت طريقتان لذلك: إمّا إظهار ماهيّة الحكمة وطبيعتها وأصلها وأعمالها بصورة مباشرة، على ما نقرأ في حك ٧: ٢٢ ب –٨: ١؛ وإمّا إظهار كيفيّة انفتاح الحكيم على الحكمة وما تحقّقه فيه بعد أن تأتي إليه، وهو ما نجده في وصول سليمان الحكيم إلى الحكمة قبل وقوعه في الخطأ (حك ٧: ١–٢٢أ؛ ٨: ٢–٢١)[٤].

## ٣ – أصل الحكمة (حك ٧–٩؛ با ٣: ٩–٤: ٤)

إن أردنا أن نفسّر حكمة سليمان، ونفقه أصلها، يجيبنا سفر الحكمة[٥] من خلال صلاة الحكيم الملك في جبعون (١ مل ٣: ٩)[٦]. لإبراز أنّ سليمان الملك

(٣) هذا ما تعلنه حك ٦: ٢٢، كتمهيد لمديح الحكمة.

(٤) في كلتا الحالتين يبدو الكاتب وكأنّه سليمان الملك في كلّ مجده قبل وقوعه في أيّ من أخطائه. إنّه حكيم التقليد البيبليّ الذي يتكلّم هنا، انطلاقًا من صلاته في بداية ملكه. من هنا عنوان الكتاب. يستوحي الكاتب أخبار سفر الملوك الأوّل ٣–١٠ و٢ أخ ١–٩ الذي حوّل الحلم إلى ظهور (رج جا ٥: ٢، ٦؛ سي ٣٤: ١–٨) وخطر الأحلام، فيحتفظ منها بالجوهريّ وبشكل خاصّ صلاة الملك الشابّ في جبعون (١ مل ٣: ٤–١٥؛ ٢ مل ١: ٧–١٢) دون أن يذكر أبدًا أخطاء سليمان التي أدّت إلى انقسام المملكة (١ مل ١١–١٢).

(٥) رأى كتاب الحكمة النور في الإسكندريّة حوالى سنة ٣٠ ق.م. يعبّر الكاتب من خلال أدب يونانيّ رفيع المستوى، لكنّ الكتاب يندرج في خطّ الكتب الحكميّة، أمثال، أيّوب، إبن سيراخ، بعض المزامير. يعرف الكاتب جيّدًا سفر التكوين والخروج وأشعيا والأمثال، لكنّه على معرفة جيّدة أيضًا بالأدب اليونانيّ (هوميروس وأفلاطون). يحاول أن يشهد لإيمانه اليهوديّ، بحسب الفكر اليونانيّ، ويتوجّه إلى المؤمنين الذين لم يعودوا على معرفة بالعبريّة، هادفًا إلى إقناعهم بقيمة الإرث الروحيّ اليهوديّ.

(٦) هذا ما يشدّد عليه الكاتب، فيذكره في حك ٧: ٧، ويدخله في حك ٨: ٢١ قبل أن يستعيده في ف ٩.

لم يكن قادرًا أن يحصل على الحكمة إلاّ من الربّ، بعد أن يطلبها، وكأنّ مديح الحكمة في هذا الكتاب، يهدف إلى طلبها من الربّ، بحيث تشكّل صلاة الطلب هذه محور الكتاب(٧).

أمّا سفر باروك(٨) فيجيب من خلال نشيد للحكمة (با ٣: ٩–٤: ٤) يتمحور حول سؤال أساسيّ: «مَن وَجَدَ مَوضِعَ الحِكمَة، ومَن دَخَلَ إِلى كُنوزِها؟» (٣: ١٥). بعد المقدّمة والتذكير بدعوات التثنية (تث ٤: ١؛ ٥: ١)، وموضوع المياه الحيّة عند إرميا (إر ٢: ١٣؛ ١٧: ١٣)، وتقليد الجامعة (١: ١–٢٠). يحاول

(٧) يتمحور القسم الأوّل من سفر الحكمة (١–٥) حول فكرة المقابلة بين مصير المؤمنين ومصير الأشرار؛ أمّا القسم الثاني فيقدّم مديحًا للحكمة الضروريّة لكلّ إنسان عامّة، وللمسؤولين عن إدارة الأمم بشكل خاصّ؛ ويمكن عنونة القسم الثالث (٩: ١٣–١٩: ٢٢) «الحكمة في التاريخ المقدّس»، وكأنّه في ذلك يقدّم إعادة تفسير للنصوص الكتابيّة من خلال العقليّة اليونانيّة. هنا نرى ظهور مفاهيم غريبة عن العهد القديم العبريّ كالفصل بين النفس والجسد (٩: ١٥) وخلود النفس (٣: ١٤؛ ٨: ١٧؛ ١٥: ٣؛ إلخ).

(٨) لا يمتّ كتاب باروك الى باروك مرافق إرميا النبيّ في القرن الرابع قبل الميلاد (إر ٣٦) الذي تبع معلّمه الى مصر بعد هدم أورشليم سنة ٥٨٧ (إر ٤٣: ٦). كما نُسِبت المراثي إلى إرميا الذي عاش مآسي شعبه، وُضعت تحت اسم باروك الكاتب عدّة نصوص متأخّرة (القرن الثاني أو القرن الأوّل ق. م.) متعلّقة بمشاكل الشعب العبريّ المسبيّ بين الأمم وبطموحاته. يبدو تقسيم كتاب باروك واضحًا بعد مقدّمة تشهد على عدم وضوح تاريخيّ (١: ١–١٤)، نرى ثلاثة أقسام أساسيّة، تنتمي إلى أساليب أدبيّة مختلفة: **صلاة توبة مزموريّة** (١: ١٥–٣: ٨)، مع اعتراف بالخطايا وتوسّل. قريبة من اللاهوت الاشتراعيّ (تث ٢٨–٣٠)، ومن إرميا وصلوات عزرا ونحميا (عز ٩: ٦–١٦؛ نح ١: ٥–١١؛ ٩: ٥–٣٧)، ويتقارب هذا مزمور المسبيّين هذا بشكل كبير مع دا ٩. **نشيد حكميّ**: مديح الحكمة، المتماهية مع الشريعة وميزات الشعب المختار (٣: ٩–٤: ٤). **خطاب تعزية** (٤: ٥–٥: ٩) حيث يتوجّه نبيّ إلى شعبه يلومه على تركه الله الأبديّ وإحزانه أورشليم (٤: ٥–٩أ). ثم نرى أورشليم تصف مآسي أبنائها بأسلوب المراثي والتثنية (٤: ٩ب–١٦)، ثمّ تدعو هؤلاء للتوبة والرجاء (٤: ١٧–٢٩). أخيرًا يعود النبيّ إلى الكلام ليحثّ شعبه على ثلاث دفعات بأسلوب مستوحى من أش ٦٠–٦٢، معلنًا نهاية حزن أورشليم ووحدتها: «تَشَجَّعي، يا أُورَشَليم، فإِنَّ الذي سَمَّاكِ سيُعَزِّيك» (٤: ٣٠–٣٥)؛ «تَطَلَّعي، يا أُورَشَليم، مِن حَولكِ نَحوَ المَشرِق، وانظُري الابتِهاجَ الوافِدَ علَيكِ مِن عِندِ الله» (٤: ٣٦–٥: ٤)؛ «إِنهَضي، يا أُورَشَليم، وقِفي في الأعالي، وتَطَلَّعي مِن حَولكِ نَحوَ المَشرِق، وانظُري أَبْناءَكِ مُجتَمِعينَ مِن مَغرِبِ الشَّمسِ إِلى مَشرِقِها بِكَلِمَةِ القُدُّوس ومُبتَهِجينَ بِذِكْرِ الله» (٥: ٥–٩).

الكاتب الإجابة على ما يقضّ مضجع البشر : كيف يمكن للإنسان الوصول إلى الحكمة؟

يأتي الجواب سلبيًّا في البدء (٣: ١٦–٣١): لم يعرف أحد «طريق الحكمة»، ولم يفهم أحد «سبلها»: لا رؤساء العالم، ولا أغنياؤه، ولا فنّانوه الذين فنيت أعمالهم (آ ١٦–٢١). تتوالى الأجيال على الأرض دون أن تنمو حكمة البشر. وعلى كلّ الذين جعلوا من البحث عنها مهمّتهم أن يعترفوا بأنّهم لم يجدوها (آ ٢٢–٢٣)؛ فحتّى الجبابرة «هَلَكوا لِغَباوَتهم» (آ ٢٥–٢٨). إنّ الحكمة لا تُحاز بالقتال، ولا يمكن شراؤها بالغالي (آ ٢٩–٣٠).

يبدو هذا الجواب الأوّل، وكأنّه يستبعد مسبقًا كلّ اعتداد بالحكمة البشريّة، فيأتي الجواب الإيجابيّ (٣: ٣٢–٤: ١) ليكمّل ويؤكّد بأنّ هذه الحكمة التي ليس بمقدور الإنسان إدراكها، «العالِمَ بِكُلِّ شَيءٍ يَعلَمُها وبِعَقلِه وَجَدَها»؛ فعمل الخلق ومقدرة الله الكونيّة (آ ٣٢ب–٣٦) يشهدان بأن لا شيء يخفى على الله (آ ٣٧أ). ويستطرد ليعلن بأنّ الله العالِم كلّ العلم والقدير كلّ المقدرة أراد أن يشارك شعبه بالحكمة، لأنّه عبده وحبيبه (آ ٣٧ب). هنا يأتي إعلانان لاهوتيّان هما قمّة النشيد:

– ظهرت الحكمة على الأرض وعاشت بين البشر (٣: ٣٨)؛

– إنّها تتماهى مع كتاب وصايا الله، الشريعة، نبع الحياة لكلّ الذين يتعلّقون بها (٤: ١)؛

ينتهي النشيد بثلاث آيات هي بالحقيقة تشجيع وحثّ (٤: ٢–٤): بما أنّ شعب الله قد دخل، بواسطة الشريعة، في أسرار الله، وبما أنّه تلقّى، بنعمة من الله، الوحي بما يحسن لديه، فلا يبقى له سوى أن يتوب (يعود آ ٢)، وأن يسير، على نور الشريعة، نحو النور النهائيّ.

لم يأتِ هذا النشيد الحكميّ (٣: ٩–٤: ١) ابن ساعته. إنّه بالأحرى قمّة

تطوّر عبر الزمن[٩]. هنا بيت القصيد: ليست الحكمة سوى كتاب شريعة الله. هذا ما يبرز بصورة واضحة في سي ٢٤: ٢–٢٣.

### ٤ – الحكمة «كتاب العهد... شريعة موسى» (سي ٢٤: ١–٢٣)

في سي ٢٤: ٢–١٢ تمدح الحكمة نفسها. من فم الله خرجت، ونصبت خيمتها في السماوات (أزليّة في الله)، تبحث عن الراحة بين البشر، لكن دون جدوى. «حينئذٍ أَوصاني خالِقُ الجَميع، والذي خَلَقَني أَقرّ خَيمَتي وقال: أُنصبي خَيمَتَكِ في يَعْقوب، ورِثي في إِسرائيل» (آ ٨)، «وهكذا في صِهْيونَ ٱستَقرَرت»، و«تأَصَّلتُ في شَعبٍ مَجيد» (آ ١٠–١١). بذلك تحقّقت علاقة الحكمة بالبشر، لكن في هذه المرّة كان التشديد على مسؤوليّة شعب الله ودوره الفريد (رج مز ١٤٧: ١٩–٢٠)، وتداخل موضوعان: عطيّة الحكمة للبشر، واختيار شعب الله.

أمّا الخطوة الأخيرة في تطوّر فهم إسرائيل للحكمة فنجدها في سي ٢٤: ٢٣: «هذه كلُّها هي كتاب عَهْدِ الإِلهِ العَلِيّ والشَّريعةُ الَّتي أَوصانا بِها موسى».

هنا نلتقي مع با ٤: ١ بقوله عن الحكمة:

«هي كِتابُ أَوامِرِ الله والشرَّيعةُ القائِمَةُ لِلأَبَد. كُلُّ مَن تَمَسَّكَ بِها فلَه الحَياة، والَّذينَ يُهمِلونَها يَموتون».

بهذا نستطيع أن نرى بسهولة تامّة كلّ الطريق التي قطعها الأنبياء في فهمهم الحكمة منذ أي ٢٨؛ ففي حين أنّ طريق الحكمة كانت بنظره مغلقة نهائيًّا ودون

(٩) هذا التطوّر يميّزه نصّان مهمّان: أم ٨ و أي ٢٨؛ ونجده أيضًا في جا ٢٨. في القرن الخامس، كان نصّ أم ١–٩، وهو الأخير في كتيّبات الأمثال تاريخًا، قد صوّر الحكمة كمسؤولة عن عمل الخلق، موجودة على الأرض، في علاقة مع الله ومع الناس: «فَرِحَةً فِي مَسْكُونَةِ أَرْضِهِ، وَلَذَّاتِي مَعَ بَنِي آدَم» (أم ٨: ٣١). أمّا نشيد أي ٢٨ عن الحكمة اللامدركة، فقد أُضيف إلى حوارات كتاب أيوب في وقت متأخّر خلال القرن الثالث. وقد استفاد منه كاتب باروك ٣ كأحد مصادره البيبليّة.

أيّ أمل أمام كلّ إنسان، يؤكد باروك بأنّ الإنسان قادر على الوصول إلى الحكمة إن أعطاه الله أن يجدها، وأنّه يكفيه البحث في صهيون كي يجدها لأنّ الله قد أعطاها، دون تراجع، لشعبه الحبيب. أهداه إيّاها بكلام بشريّ، يحمل محبّته وإرادته وحياته ونوره(١٠). الحكمة هي الشريعة، تمامًا كما يفعل ابن سيراخ في الحقبة عينها، وكما سيكون الحال في اللاهوت الرابّينيّ(١١).

(١٠) كما يمكننا أن نرصد تطوّرًا لاهوتيًّا يكمن بالتالي: في حين تتطوّر فكرة أيّوب في إطار وصفيّ غير تاريخيّ، يتجذّر موضوع الحكمة عند با ٣ في تاريخ الخلاص، فيذكّر بحقبات حاسمة في مشروع الله: الخلق؛ الفرح الذي وضعه الله في خليقته (٣: ٣٢-٣٥)، عطيّة الشريعة التي يجب أن تكون نور الناس وحياتهم (٤: ١-٤)؛ السبيّ وتشتّت إسرائيل (٣: ١٠). ويُستكمل التاريخ المقدّس بتشخيصَين أخلاقيَّين: دعوة للبحث عن نبع الحكمة، نور العيون والسلام الحقّ (٣: ١٢-١٤)؛ ودعوة إلى التوبة (٤: ٢-٤). على الإنسان أن يعترف بمحدوديّة سلطته السياسيّة، وتقنيّاته وثقافته وخدعة القوة العسكريّة (٣: ١٦-٣١)، والانفتاح على حكمة لا يعطيها سوى الله وحده.

(١١) كاتب هذا السفر هو يشوع بن سيراخ الذي وضع أفكاره كتابة في أورشليم بعد وقت قصير على بسط السلوقيّين سيطرتهم حتى اليهوديّة حوالى سنة ١٨٠ ق.م. كتب نصّه بالعبريّة في وقت كانت الآراميّة هي اللغة المستعملة. ترجم حفيدة الكتاب إلى اليونانيّة بعد وقت قصير، ولم يظهر ثلثَا النصّ العبريّ في نهاية القرن التاسع عشر في مجمع في القاهرة، ثمّ مؤخّرًا بين مخطوطات البحر الميت. يقع الكاتب بين الكتب الحكيمة ويتشابه أسلوبه مع أسلوب سفر الأمثال. يغيب سفرَا بن سيراخ والحكمة عن البيبليا العبريّة، ويعتبر أنّ من الكتب القانونيّة الثانية. لكنّ ابن سيراخ كان لزمن من الكتب المقدّسة اليهوديّة، لكنّه فقد ميزته هذه في نهاية القرن الأوّل ميلاديّ لأسباب غير واضحة تمامًا: هل لأنّ النصّ العبريّ فُقد؟ أو لأنّ المسيحيّين تبنّوه بشكل كبير؟ أو لأنّه يذكر الكاهن الأكبر سمعان الذي تنتهي معه حقبة «الكتبة الملهمون»؟ مهما كانت أسباب استثنائه من القانون العبريّ، فإنّه يعكس بصورة أكيدة الخطوط الكبرى للتقليد اليهوديّ. يعتبر النقّاد أن ابن سيراخ كتب نصّه في الربع الأوّل من القرن الثاني ق.م. في فلسطين، فشاعت منه نسخات عديدة وصل منها نصّ إلى الاسكندريّة حيث ترجمها حفيده بعد سنة ١٣٢ ق.م. بقيت بعض النسخات في فلسطين حيث أخذ الكتاب أهمّيّة كبرى عند جماعة قمران. في مجمع يَمْنِيَا في نهاية القرن الأوّل ميلاديّ، منع الرابيّين الكتاب، لكن بعض النسخات ظلّت في التداول، فشكّلت نسخة عبريّة أصل للترجمة السريانيّة التي قام بها مسيحيّ بين القرنَين الثاني والرابع م. ويبدو أنّ هذه النسخة العبريّة مغايرة للنسخة المحفوظة في قمران. وقد عرف القدّيس إيرونيموس (+٤٢٠) النصّ العبريّ، وكانت مجموعات من أمثال الكتاب متداولة، بحيث ذكرها الرابّينيّون في كتاباتهم. في نهاية القرن الثامن م.، وُجد نصّ عبريّ لسفر ابن سيراخ في مغارة قرب أريحا، فنسخه الـ qaraites نسخًا عديدة استعملوها حتّى القرن الثاني عشر حين منع الرابّينيّون استعمال الكتاب حتّى عصرنا الحاضر.

## ٥ – الحكمة وسط شعبها (سي ٢٤: ١–١٥)

يُقسم سي ٢٤ إلى ٣ أقسام كبيرة:

مقدّمة (١–٢)، وخطاب الحكمة (٣–٢٢)، وتفسير (٢٣–٣٤). ويقسم الخطاب إلى قسمين: في الأول يشكّل الأمر الذي يعطيه الله للحكمة المحور (آ ١–١٥)؛ والثاني (آ ١٦–٢٢) يبدو وكأنّه تجميع أفكار حول فكرة ثمار الحكمة[١٢]. آ ١–٢ الحكمة في الجماعة تمدح ذاتها (καυχήσεται)[١٣]، فيشير إلى إطار ليتورجيّ طقسيّ منذ الآيات الأولى. الله العليّ (ὑψίστος، עליון)[١٤] هو יהוה، على ما نقرأ في النسخة العبريّة (١٢: ٢؛ ٤٣: ٢؛ ٤٨: ٥). هي أمام قدرة (δύναμις) الله؛ فهل هذه القدرة هي في المفرد، «جبروت»، بمعنى أنّها أمام الله شخصيًّا، أم في الجمع، «قوّات»، وبالتالي أمام البلاط السماويّ؟ وبما أنّ النصّ يشدّد على تجذّر الحكمة في الهيكل، «الخيمة المقدّسة»، فيبدو المقصود إذًا أنّ الحكمة تمدح ذاتها في الجماعة الأرضيّة والسماويّة، ممّا يجعل هذا المديح نشيدًا ليتورجيًّا يُنشَد في الجماعة المؤمنة أمام القوّات السماويّة.

أمّا الجماعة فهي شعب الله المؤمن المتمثّل في بني يعقوب؛ فالحكمة نصبت خيمتها في يعقوب، وتصاعدت أمام الله كالبخار... هذا ما يشدّد عليه النصّ في وصفه لتحرّكات الحكمة الجغرافيّة، وفي استعماله لأسماء الله. ولإبراز قصد الكاتب، من المهمّ الحفاظ على عبارات «خيمة» و «إرث» في ترجمة المفردتَين κατασκηνόω و κατακληρονομέω؛ مثلاً في:

(١٢) النصّ شبيه بمديح إيزيس، وقد تأثّر به كتاب أخنوخ ٤٣: أنا إيزيس ملكة كلّ البلدان، أنا أعطيت الشرائع للبشر، أنا الابنة البكر لكرونوس، أنا سيّدة الأنهار والرياح والبحر، أنا سيّدة الحرب، أنا سيّدة الصاعقة.

(١٣) استعملت العبارة ٣٢ مرّة في السبعينيّة، منها ٩ مرّات في ابن سيراخ. في الفعل معنى الاعتداء والكبرياء، إلاّ إذا كان يشير إلى تمجيد «في الله»؛ عندها يأخذ الفعل معنى طقسيًّا. إر ٩: ٢٢–٢٣: «لا يفتخر الحكيم بحكمته»؛ سي ٣٩: ٨: «مَن يبغي الحكمة... بشريعة الربّ يفتخر».

(١٤) عندما نقرأ עליון في النصّ المسُّوري فهو في اليونانيّة ὑψίστος، لكن في ابن سيراخ وفي حالات ثلاث نقرأ في النسخة العبريّة المحفوظة יהוה.

آ ٤ ἐγὼ ἐν ὑψηλοῖς κατεσκήνωσα، «أنا في الأعالي نصبت خيمتي».

آ ٨ ἐν ᾽Ιακωβ κατασκήνωσον καὶ ἐν ᾽Ισραηλ κατακληρονομήθητι، «في يعقوب أنصبي خيمتك وفي إسرائيل رثي».

## ٦ – جغرافية الحركة

آ ٣–٤ تخرج الحكمة من فم الله وتعمّ الأرض. ليس لها مكان محدَّد، فهي في كلّ مكان في الوقت عينه. هي كالضباب الذي لم يمطر بعد (ὁμίχλη)؛ وفي آ ٥–٧ تجتاز الحكمة الخليقة من أعلى إلى أسفل (من السماء إلى الغمر)، ومن الطول إلى العرض، بأرضها وبحرها وبلدانها (آ ٥–٦). أمّا في آ ١٣–١٤ فتجتاز من جديد المكان من الشمال إلى الجنوب، من لبنان وحرمون إلى عين جدي وأريحا؛ ومن الشرق إلى الغرب، من البحر الميت إلى السهل الساحليّ. ثمّ، في آ ١٥، وبعد أن تجذّرت، فتبدو كالبخار، بل كالبخور في الخيمة المقدّسة. في حين أن لا حركة ولا تحديد لمكان في الآيات ١٦–٢٢، وكأنّ الكاتب أراد من خلال المقابلة من حيث الأمكنة الجغرافية بين الآيات ٣–٤، ١٥، من جهة، والآيات ٥–٧، ١٣–١٤، من جهة ثانية، أن يلفت الانتباه إلى الآيات ٨–١٢: في يعقوب أنصبي خيمتك[١٥]، وفي إسرائيل رثي...[١٦] في يعقوب راحتها وخيمتها.

أمّا الله فهو في آ ٢–٣ الله «العليّ» ὑψίστος (עליון)؛ وعندما يتكلّم في آ ٨ فهو «الخالق» κτίστης ἁπας ὁ (יֹצֵר הַכֹּל)؛ أمّا عندما تتجذّر الحكمة في إسرائيل آ ١٢ فهو السيّد κύριος (יְהוָה).

---

(١٥) المسكن οκηνή (מִשְׁכָּן) وفعل السكن κατασκηνόω (שָׁכַן) يظهر الجذر ٥ مرّات بين آ ٤ وآ ١٥؛ في آ ٤ خيمة الحكمة هي في السماوات؛ في آ ١٥ تسكن في خيمة مقدّسة؛ في آ ٨ يعطيها الخالق الأمر بأن تنصب خيمتها في يعقوب ؛ وفي آ ١٠ هي في يعقوب.

(١٦) جذر «الإرث» κληρονομία (נָחַלָה)، والفعل «وَرِثَ» κατακληρονομέω (תִּנְחַל). يستعمل الجذر ٣ مرّات بين آ ٣ وآ ١٥. وأحد أوامر الربّ هو κατακληρονομέω في آ ٨ ، يحيط به سؤال الحكمة في آ ٧: «في أيّ ميراث أقيم؟»، وتجذّرها في ميراث الرب (آ ١٢).

هذه الملاحظات تبرز القسم المحوريّ في النشيد بحسب التصميم التالي:

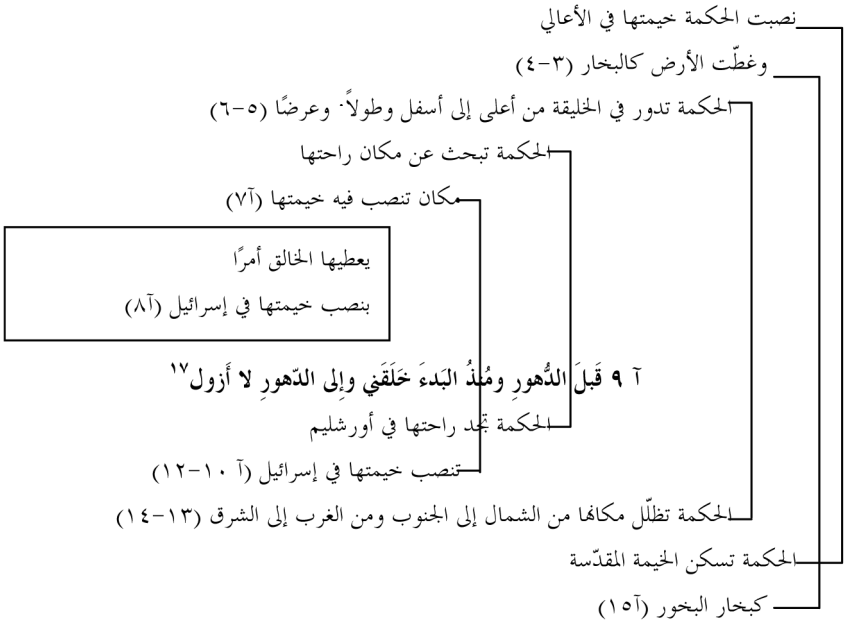


كلّ شيء يستند على أمر الربّ: «في يعقوب أنصبي خيمتك، وفي إسرائيل رثي». هذه الخيمة–المسكن، لم تعد للذبائح، إنّه مسكن العهد، مسكن الشريعة. مكان الشريعة إذًا هو في الجماعة التي «تأكلها وتشربها»: إنها الوليمة الحقّة.

## ٧ – الحكمة والخلق

خرجت من فم العلي كالبخار ὁμίχλη. صورة البخار هي صورة

(١٧) كأنّها ليست في مكانها في هيكليّة النصّ المحوريّة، فهي تقطع الترابط ولا علاقة لها بالأمر الإلهيّ في آ ٨، بل تتعلّق بمستقبل الحكمة، وهو أمر لا يطرحه النصّ. الآية ٩ تتشابه مع أم ٨: ٢٣. ويبدو مكانها أفضل بين آ ٣ و آ ٤. لكن يمكننا أن نظن، كما رأى موريس جيلبر (1974 *RTL 5* 326-348)، إن هذه الآية ٩ هي حلقة الوسط بين الاكتفاء الجغرافيّ «الخيمة» والتوسّع الجغرافيّ «شمالاً، جنوبًا، وغربًا، وشرقًا»، بحيث تصبح الأرض الموعودة كلّها «الخيمة». هي التي لا زمن لها، لا يمكن أن يحدّها مكان ضيّق.

الروح/الريح؛ الضباب أصل المطر (أش ٥٥: ١١)[١٨]. فبحسب هيكليّة النصّ المحوريّة تأتي الصورة موازية للبخور في آ ١٥. ولا يصف ابن سيراخ الله بالخالق في بداية النصّ عند خروج الحكمة من فمه، بل عندما يتكلّم ليأمرها بالسكن في إسرائيل. إنّه خالق الجماعة.

لنا في أكثر من مكان إشارة إلى الليتورجيّا؛ فمكان الحكمة حيث تمدح نفسها هو الخيمة المقدّسة (١–٢). وفي ١٥ تعداد لكل مكوّنات العطور والبخور (خر ٣٠: ٢٣–٣٤)، ومقابلة «عدم طاعة الحكمة» مع «الخطيئة» آ ٢٢، وخاصّة في تماهي الحكمة مع التوراة. ففي قلب تفسيره يوحّد ما بين الحكمة والتوراة. مجيئها إلى إسرائيل هو قمّة عمل الخلق الإلهيّ بما فيه تاريخ إسرائيل. فهذا الأخير خُلق لشعب ليسمح للحكمة بالسكن على الأرض. والحكمة لم تصبح فاعلة في الأرض إلاّ عندما أصبحت توراة. منذ الآن عُرِفت هوّيّة الحكمة وانتهى البحث، لأنّها التوراة، يجدها المؤمن في صهيون بل في الهيكل. هنا يتعلّمها ليجدّد بها العالم.

كتاب الشريعة، كتاب العهد، الكتب الخمس الأولى في الكتاب المقدّس والمنسوبة إلى موسى، هي في التقليد اليهوديّ تعليم عن كلمة الخلق الإلهيّة التي تتتابع وتتجدّد كلّ يوم في كلّ مكان في العالم. إنّها ديناميّة الوحي بواسطة الشريعة المكتوبة.

نقرأ في التلمود (بابا متسيا ٥٩ب): «لم تعد التوراة في السماء»، بما أنّها نزلت إلى الأرض حيث قبلها شعب إسرائيل واستثمرها. قبلها موسى من جبل سيناء حيث أتت إليه، وسلّمها إلى يشوع تلميذه. هذا التسليم رمز للتجديد المستمرّ. لقد أطلق موسى كلمة فاعلة مختومة بختم الوحي الأبديّ بالطبع. هذه الكلمة ستنمو بفعل تسليمها من جيل إلى جيل.

(١٨) حاول البعض العودة بالصورة إلى الروح الذي يرفّ على المياه في تك ١: ٢، أو إلى الماء الذي كان يصعد من الأرض ليسقيها تك ٢: ٦.

في هذا العالم حيث لا راحة للمؤمن ولا لله، يأتي دور كتاب العهد. وحده هذا الكتاب يسمح للإنسان بفهم معنى عمل الله في العالم وكيفيّته، لكي يستطيع هذا الإنسان أن يخدم هذا العمل ويكمله على قدر استطاعته.

كتاب العهد هو الرابط الحيّ بين المخلوق والخالق المحجوب الفاعل دومًا في التاريخ.

**خرجت من فم الله.** طبعًا، فكتاب العهد هو ظهور الله، ظهور الحقيقة في عالم الظلام. رسالة شعب العهد إذًا هو قبول الحقيقة وإظهارها أبعد منه. إنّها قبل كلّ شيء تعليم الحقيقة الإلهيّة الفاعلة في العالم المخلوق، العقيدة التي تقود خطانا على هذه الأرض نحو الخلاص والراحة الأبديّة. خرجت من فم الله كلمة، لكنّها كلمة مكتوبة.

أتى الله شعبه المجتمع عند سفح جبل سيناء، فمنحه بالتوراة أن يصبح شعبًا مقدّسًا، مفروزًا. قدّوس كما الله، وكما التوراة كلمته. في مَثَلٍ تلموديّ نقرأ أنّ أبناء إسرائيل انهاروا كمن ضربته صاعقة، انهاروا كالأموات أمام جبل سيناء عندما سمعوا صوت النفير الإلهيّ، ورأوا الكلمات–البروق الإلهيّة تلمع من كلّ الجهات في الوقت عينه، وكأنّها كواكب ملتهبة تتساقط عليهم. لكنّ الله كان يقيمهم بمحبّته الكبيرة ليقدّرهم على أن يرثوا كلمته.

أتت التوراة المكتوبة لتخلق مسافة لا تُخترق بين القدّوس وبيننا، وتؤهّلنا لنصل بسلام، على درجات، ودون خطر على كياننا الهشّ. يوصلنا الكتاب إلى الله إذًا عبر الانفصال وبه. كان موسى ثقيل اللسان، ممّا ساعده على الصمت فيسمع. سكت طويلاً فترك لله إمكانيّة أن يكلّمه طويلاً، في كلام مكتوب. إنّها الحكمة الإلهيّة التي جاءت البشر، فما على البشر سوى قبولها للوصول إلى إرادة الله.

## ٨ – الاحتفال بالكتاب والاحتفال بالكلمة أطيب من شهد العسل

كيف نتعلّم الكتاب؟ هذا ما كان العلماء يقومون به ليعلّموا أولادهم التوراة.

كانوا يأتون بهم إلى المدرسة ويجعلونهم يقرأون أحرف التوراة الإثنين والعشرين، ثم يدهنون هذه الأحرف بالعسل، ويجعلون الأولاد يلحسونها قبل أن يعيدوهم الى أمهاتهم... «إنّ كلمات التوراة أطيب من العسل. وعندما يبدأ الولد بتعلّم التوراة كانت العائلة تقيم مائدة كبيرة، وكأنّهم يقدّمون الولد الى الله في جبل سيناء. فكلام التوراة يعطى لك «اليوم» وليس «في ذلك الزمان». بهذا يشترك الولد، كما كلّ مؤمن بكل ما حدث في تاريخ الخلاص، ليس كمن يسمع ما حدث في الماضي، بل كمن يشترك بالأحداث الخلاصيّة، عبر الزمن. يقول أحد الرابّينيّين: «مَن يدرس التوراة يكمل بنفسه الظهور الإلهيّ في سيناء، لأنّ الحدث يتردّد فيه كصدى روحيّ يدوم من جيل إلى جيل. وهذا معنى الاحتفال بالـ«بار مِتْسْفَا»: ينشد التوراة علنًا يصبح ابن الثلاث عشرة سنة ابن الوصية.

## ٩ – احترام التوراة ومديح الكتاب

في العادات والطقوس اليهوديّة المتعلّقة بالتوراة تفاصيل تلفت الانتباه:

على مَن يرى، في طريقه» دَرْج التوراة أن يقف في مكانه احترامًا... إلى أن يتوقّف مَن يحمله ويضعه في مكانه... عندها فقط يستطيع أن يجلس». بعض العادات الفرّيسيّة تفرض على المؤمنين ليس فقط الوقوف أمام حامليّ دَرْج التوراة، بل أمام مَن يدرسها ومَن يعلّمها، وأمام تلامذة الحكماء، لأنَّهم لا يحملون فقط الدَرْج المادّيّ في أيديهم، بل يحملون كلمة التوراة على شفاههم، هم الذين يدرسوها ليعلّموها للآخرين، فتزهر في فمهم كشجرة الحياة. ولأنَّها ترفع الناس في هذا الوجود، فإنَّنا ندعوها توراة حاييم: توراة الحياة. إنَّها الخبز الذي أعطانا إيَّاه الله غذاء» (خر ١٦: ١٣–١٥). إنّها كلمة الله بيد موسى.

في عيد العنصرة (ماتان تُوراه، عطيّة التوراة)، كما في آخر أيّام عيد المظالّ (سِمْحاتْ تُوراه، فرح التوراة)، يحمل الشعب كتاب التوراة بفرح عارم في الشوارع والساحات، يزيّحونه بالرقص والهتاف. مَن يكون له شرف قراءة

التوراة في هذا اليوم هو «ختن التوراة». إسرائيل هو العريس والتوراة هي العروس الموعودة. في نهاية السنة الطقسيّة (عيد المظالّ) يبدأ العالم من جديد، من خلال قراءة سفر التكوين.

**١٠ – العهد الجديد: من الكتاب الى الكلمة**

أعطى اللاهوت المسيحيّ اسمًا لهذه الكلمة، الحكمة الخالقة التي جاءت وسكنت بين بني البشر: يسوع المسيح ابن الله.

هذا التفسير ليس مجرّد تطوّر لاهوتيّ في خطّ تطوّر الكتب الحكميّة، بل هو تأكيد واضح في العهد الجديد. يذكّر موضوع الحكمة التي جاءت البشر لمشاركتهم مصيرهم الجماعة المسيحيّة بالمعنى الحقّ لمشروع الله الذي تحقّق في التاريخ: لقد حقّقه بالكلمة المتجسّدة الذي أعطانا، لا الشريعة، بل النعمة والحقّ(١٩).

عرف الإزائيّون الأقوال التي يتماهى فيها يسوع مع الحكمة التي تدعو البشر (رج مر ٢: ١٧؛ ١٠: ٢٤؛ لو ٦: ٤٧). فالقول «تعالوا إليّ أيها المتعبون...» (مت ١١: ٢٨–٣٠) هو صدى لـ أم ٣: ١٧ و سي ٢٤: ١٩؛ ٥١: ٢٣؛ وهو يتبع القول حيث يقدّم يسوع نفسه على أنّه مَن يكشف الآب (مت ١١: ٢٥–٢٧؛ لو ١٠: ٢١–٢٢).

(١٩) حاول كاتب سفر الحكمة (حوالى سنة ٣٠ ق. م.) أن يحدد صور الحكمة هذه ويغنيها، فشدّد أكثر من سابقيه على عملها الخالق، وحاول ربط الحكمة أكثر بالله: «فإنَّها نَفحَةٌ من قدرَةِ الله وانبعاثٌ خالصٌ مِن مَجدِ القَدير... لأنَّها انعِكاسٌ لِلنُّورِ الأزَلِيّ ومِرآةٌ صافِيَةٌ لِعَمَلِ الله وصورَةٌ لِصَلاحه» (٧: ٢٥–٢٦). لكنّه لم يتوصّل إلى القول بأنّها تملك ملء الجوهر الإلهيّ. وسّع حقل عمل الحكمة إلى الغاية، فيبدو عملها في كلّ المجالات، إن في الكون أو في التاريخ أو في قلب الإنسان، متداخلاً مع عمل الله بالذات. ومع أنّه يتكلّم من وقت إلى آخر عن الحكمة كـ«هبة»: «هَبْ لِيَ الحِكمةَ الجالِسَةَ مَعَكَ إلى عَرشِك»، أو كـ «مرسلة»: «أَرسِلْها مِنَ السَّمواتِ المُقَدَّسة» (٩: ٤، ١٠)، فهو لا يعتبرها وسيطًا يؤمّن العلاقة بين الله والعالم، بل كرمز حيّ لحضور الله الفاعل.

في لو ٢١: ١٥، يعد يسوع بأن يعطي تلاميذه الحكمة التي لا يمكن لأحد أن يقاومها. وتقابل العديد من الآيات بشكل لافت بين يسوع والحكمة (لو ١١: ٤٩ مقابل مت ٢٣: ٣٤ ومت ١١: ١٩ ولو ٧: ٣٥؛ مت ١٢: ٤٢ ولو ١١: ٣١). وأخيرًا يدعو بولس المسيح «حكمة الله» (١ كور ١: ٢٤)، ويصفه بصفات الحكمة الخالقة في كول ١: ١٥–١٦، في حين تستعيد الرسالة إلى العبرانيّين تشبيهًا حك ٧: ٢٥–٢٦ في معرض الحديث عن ابن الله، «شُعاعُ مَجْدِهِ وصُورةُ جَوهَرِه» (عب ١: ٣).

لكن تأتي الكتابات اليوحنّويّة لتضيء نصوص مديح الحكمة بتطبيقها على المسيح كلمة الله وابن الله كلّ ما أكّدت الكتب الحكمية أنّها صفات الحكمة، على ما يظهر من خلال هذا الجدول الإزائي:

| | |
|---|---|
| الحكمة مع الله منذ البدء (أم ٨: ٢٢–٢٣؛ سي ٢٤: ٩؛ حك ٦: ٢٢) | الكلمة عند الله منذ البدء، قبل إنشاء العالم (يو ١: ١؛ ١٧: ٥) |
| الحكمة انبثاق من مجد الله (حك ٧: ٢٥) | الكلمة المتجسّد يعكس مجد الآب (يو ١: ١٤؛ ٨: ٥٠؛ ١١: ٤؛ ١٧: ٥، ٢٢، ٢٤) |
| الحكمة انعكاس النور الأبديّ (حك ٧: ٢٦) | أتى يسوع من الله الذي هو نور (١ يو ١: ٥) |
| الحكمة تنير طريق البشر (أم ١: ٢٩) | يسوع هو نور العالم والبشر (يو ١: ٤–٥؛ ٣: ١٩؛ ٨: ١٢؛ ٩: ٥؛ ١٢: ٤٦) |
| الحكمة أسمى من كلّ نور (حك ٧: ١٠، ٢٩) | المسيح الممجَّد سيكون نور المدينة الأبديّة (رؤ ٢١: ٢٣) |

تأتي الحكمة من السماء لتسكن بين البشر (أم ٨: ٣١؛ سي ٢٤: ٨؛ با ٣: ٢٩، ٣٧؛ حك ٩: ١٠، ١٦، ١٧).

الحكمة تعلّم البشر الأمور السماويّة (أي ١١: ٦–٧؛ حك ٩: ١٦–١٨) والحقيقة (أم ٨: ٧؛ حك ٦: ٢٢) وما يرضي الله (حك ٨: ٤؛ ٩: ٩ي)

الحكمة تقود إلى الحياة (أم ٤: ١٣؛ ٨: ٣٥)؛ سي ٤: ١٢؛ با ٤: ١) وإلى عدم الموت (حك ٦: ١٨–١٩)

الحكمة تدعو تلاميذها للأكل والشرب (أم ٩: ٢–٥؛ سي ٢٤: ١٩–٢١)

الحكمة تصرخ في الشوارع (أم ١: ٢٠ي؛ ٨: ٢ي)

يتسبّب مجيء الحكمة بجدال بين البشر؛ البعض يقبل البحث عنها (أم ٨: ١٧؛ سي ٦: ٢٧؛ حك ٦: ١٢) والبعض الآخر يبحث متأخّرًا (أم ١: ٢٨؛ حك ٢: ٨)

نزل ابن الإنسان من السماء (يو ١: ١٤؛ ٣: ١٣، ٣١؛ ٦: ٣٨؛ ١٦: ٢٨).

المسيح يكشف الأمور السماويّة (٣: ١٢)، وما سمعه من أبيه (٣: ١١، ٣٢؛ ٧: ١٦؛ ٨: ٢٦، ٤٠؛ ١٥: ١٥؛ ١٧: ١٨)

مَن يسمع للمسيح له الحياة الأبديّة (يو ٥: ٢٤؛ ٨: ٥٣؛ ١٠: ٢٨)

الخبز والماء والخمر رموز للابن (يو ٦: ٣٥، ٥١ي؛ ٤: ١٣–١٤)

المسيح يصرخ في أروقة الهيكل (يو ٧: ٣٧ي)

يجب قبول المسيح قبل فوات الأوان (يو ٧: ٣٤؛ ٨: ٢١؛ ١٣: ٣٣)

## ١١ – حكمة الله أم كلمة الله؟

«في البدء كان الكلمة»، يقول القدّيس يوحنا. إن قرأنا هذا النشيد اليوحنّويّ بصوت عالٍ ووضعنا عبارة «حكمة» مكان عبارة «الكلمة» لوجدناه وقد تحوّل من نشيد للكلمة إلى نشيد للحكمة، وكأنّ الإنجيليّ قد استعمل تركيبة لاهوتيّة ليتكلّم عن سرّ مَن يشهد له: إنّها تركيبة الحكمة اللاهوتيّة؛ فالحكمة هي قرب الله، موجّهة نحوه كما نجد في النشيد. والحكمة تنير الناس، تأتي إلى البشر لتسكن بينهم، هي طريق لمعرفة الله تمامًا كما الكلمة المتجسّد.

كالكلام عن سرّ العلاقة بين الحكمة والله البشر، استعمل تركيبة العلاقات بين الحكمة والله، من جهة، والحكمة والبشر، من جهة ثانية. والعلاقة أخيرًا بين الله والبشر بواسطة الحكمة. كما الحكمة، يتوسّط الكلمة بين الله والبشر. ولكن إن كان الكلمة «كما» الحكمة فهو مختلف عنها أيضًا. فيوحنّا لا يقول أبدًا «الحكمة كانت الله»، ولا «الحكمة صارت بشرًا»، فإنْ كانت الحكمة تسكن جسد الحكيم وهو «خيمة طين» (حك ١٥: ٩)؛ فإنّ الكلمة «صار بشرًا»، والحكمة ليست «الابن الوحيد المملوء نعمة وحقًّا». الحكمة هي كتاب الشريعة، أمّا يسوع فهو الكلمة. الحكمة هي المكتوب الذي يحافظ على الفصل بين الله والإنسان، أمّا يسوع فهو الله صار إنسانًا. ربط ابن سيراخ إرث إسرائيل الحكميّ القديم بتاريخ الخلاص. فإذا الحكمة هي التوراة التي حملت الوحي للعالم من خلال تاريخ شعب فريد، مدعوّ ليحمله للعالم، أمّا يسوع فهو الكلمة الله وهو الإنسان الأمين، حياته وآياته ونعمة تجسيد لكلمة الله.

### خاتمة

مديح الحكمة في شعب الله القديم هو الاحتفال بالعهد، كتاب الشريعة مؤسّس الشعب. ومديح الحكمة في الكنيسة هو الاحتفال بالكلمة، خاصّة أثناء الاحتفالات الليتورجيّة عامّة والافخارستيّة بنوع خاصّ. هذه الكلمة المعلنة في

احتفالاتنا هي كلمة عهد. إنّها كلمة يمكن اعتبارها صدى لكلمة موسى في سيناء أو انعكاسًا لكرازة العهد التي كانت تشكل مفارق التاريخ المقدّس، أو هي استكمالاً للبشرى السارّة التي كشفها يسوع للعالم قبل أن يختم العهد الجديد بذبيحة الصليب.

فإن كانت الكلمة المكتوبة هي الحكمة التي تشكّل أساس عهد سيناء، فيسوع الكلمة المتجسّد هو أساس العهد الجديد، نحتفل به في الذبيحة الإلهيّة. فلا احتفال بالكلمة دون الاحتفال بالعهد. لكن بالمقابل لا احتفال بالعهد دون الاحتفال بالكلمة، وهنا يبدو حجم العمل الذي يجب القيام به على صعيد احتفالاتنا الإفخارستيّة بما يخصّ الاحتفال بالكلمة.

في البدء خلق الله السماوات والأرض بكلمة، ثم خلق شعبه بكلمة مكتوبة أعطاه إيّاها هبة حياة. في البدء كانت الكلمة الله، وصارت بشرًا يسوع المسيح، الذي بوجوده في جماعته، يخلقها باستمرار. فالكنيسة، جماعة الله العليّ، على ما في نشيد الحكمة (سي ٢٤: ١–٢)، وُجِدت ليس لذاتها بل لتحمل للناس الحياة الأبديّة، أي أبديّة الفرح والسلام والمحبّة، تمامًا كما أتى المسيح العالم ليكون للعالم الخلاص. إنّها مسكن الله بين البشر، الخيمة التي أراد ربّ المجد أن يتّخذها مقرًّا بين الناس، ويبقى الإنجيل هو المرآة حيث يجب أن تقف لترى وجهها. في كلّ احتفال تقدّم لنا ليتورجيّة الكلمة هذه المرآة لتطرح عليها السؤال إن كانت سر محبّة الله وحكمته الحقيقيّة.

لم تكفّ الكنيسة يومًا عن تغذية علاقتها الحيّة بالكلمة . فقد كانت دومًا كنيسة بيبليّة، كنيسة العهد: هذه هي نعمتها. لكنّها لم تكن يومًا كنيسة بيبليّة بشكل كافٍ، وهنا خطيئتها. هي كنيسة تسعى دومًا لأن تكون كنيسة بيبليّة، كنيسة عهد جديد متجدّد، هذا هو واجبها. وكلّ احتفال بالكلمة يفتح أمام الكنيسة فرصة جديدة لأن تصبح جماعة الكلمة، جماعة العهد.

وإن كان من البساطة بمكان التفكير بأنّه يكفي الكنيسة الاحتفال بالكلمة لتتحوّل إلى كلمة الله، فتتغيّر كلّ جماعة إلى إنجيل حيّ، فإنّه من البساطة أيضًا الظنّ بأنّ الكنيسة قادرة أن تحقّق هذا التحوّل دون الاحتفال الدائم بالكلمة. فكلّما انتشرت الكلمة وعُرِفت، كلّما صارت الكنيسة شبيهة بها، لأنّ مَن سمعها لا يُخزى، ومَن عمل بإرشادها فلا يخطأ.